دَلَالَةُ (فَعْلانُ) و(فَعِيلُ) فِي البَسْمَلَةِ

أ.م.د.اسعد خلف العوّادي

جامعة ذي قار

كلية التربية للعلوم الإنسانية–قسم اللغة العربية

فحوى البحث

تناول البحث موضوعة تأتي أهميتها من كونها أشرف الموضوعات للدراسة والبحث (على حد تقرير الباحث). انهما كلمتا (الرحمن الرحيم) اللذان يحملان من الأسرار ما لاتدركه العقول في لفظهما ومعناهما واللتان اختلف العلماء وكثرت الاقوال قي دلالتها.والبحث محاولة لجمع ماقيل من الأراء في نفسير دلالتهما معتمدا مصادر أغلبها من التفاسير والمعاجم اللغوية العربية. وقد قسم البحث على مقدمة وخمسة مباحث، تبعا للدلالات التي فسرت بها هاتان الصيغتان ودرس الباحث دلالتها على التجديد والثبوت ودلالتهما على العموم والخصوص، أو على المبالغة في الرحمة أو على معنى واحد هو الرحمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، والصلاة على نبيه الذي جعله على خلق عظيم، وعلى آل بيته افضل الصلاة واتم التسليم.

اما بعد...

فإن هذا البحث قد تناول موضوعا تتأتى أهميته من كون موضوعه اشرف الموضوعات للدراسة والبحث وهو كلمتان من كلمات الله تعالى التي لا تنفد، وهما اسمان من أسمائه الحسنى تبارك بها، وهما (الرحمن الرحيم) اللذان كان فيهما من الأسرار ما لا تدركه العقول في لفظهما ومعناهما مفردتين ومجتمعتين، واختيارهما نفسيهما لا غيرهما، فلذلك اختلف العلماء وكثرت الآراء في دلالتهما.

فحاولنا في هذا البحث أن نجمع ما قيل من الآراء في تفسير دلالة الرحمن الرحيم لنستطيع أن نلم -ولو بالشيء اليسير -بدلالة الصيغتين، فاعتمدنا مصادر كان اغلبها من كتب تفسير القرآن الكريم القديمة والحديثة وبعض المعجمات اللغوية. فقسمنا البحث تبعاً للدلالات التي فُسّرت بها هاتان الصيغتان فدرسنا دلالتهما على التجدد و الثبوت. ودلالتهما على العموم و الخصوص. ودلالتهما على المبالغة في الرحمة. ودلالتهما على معنى واحد هو الرحمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

معنى(الرحمن الرحيم) اللغوي:

الأصل الاشتقاقي لهاتين اللفظتين الكريمتين هو الرحمة، كما يتبين ذلك من المعاجم العربية، و الرحمة تعني الرقة و التعطف و المرحمة مثله، و قد رحمه بالكسر رحمة و مرحمة أيضا، و ترحم عليه وتراحم القوم رحم بعضهم بعضا[1].

و من ذلك يتبين أن كلمتي الرحمن و الرحيم مشتقتان من الرحمة و هي المصدر، فمادة الكلمة هي: ((رح م)) و فعلها: ((رحم)) و اسم الفاعل فيها هو: ((الراحم)) أما وزنهما فإن رحمن التي أصلها: ((الرحمان)) مبنية على وزن

(١) ينظر لسان العرب: ٢١/ ٢٢٨ -٢٣٠، ومختار الصحاح: ١٣٠.

فعلان، ورحيم مبنية على وزن فعيل فقد جاء في جامع البيان: ((أما الرحمن، فهو فعلان، من رحم، والرحيم فعيل منه. والعرب كثيرا ما تبني الأسماء من فَعِلَ يفعَل على فَعْلان، كقولهم من غضب غضبان، ومن سكر سكران، ومن عطش عطشان، فكذلك قولهم رحمن من رحم))[٢].

و قد وافق المفسرون أصحاب المعاجم في الأصل الاشتقاقي للرحمن و الرحيم و هو الرحمة إذ قال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): ((الرحمن الرحيم اسمان وُضعا للمبالغة، واشتُقّا من الرحمة، وهي النعمة...))[٣] و قال السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ): ((الرحمن: مأخوذ من الرحمة، ومعناها معروف، وهي ضدُّ القسوة والشدة))[٤] و قال السيد السبزواري: ((الرحمن الرحيم هما من الرحمة ومن مشتقاتها))[٥] و قال السيد محمد باقر الحكيم (ت١٤٢٤هـ): ((الرحمن من الرحمة، وهي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد دون رقة، وإذا وصف بها البارئ فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة... الرحيم: وتشترك مع (الرحمن) في أصل مادة الاشتقاق (الرحمة)..))[٦].

ومن ذلك يتبين أن كلمتي الرحمن و الرحيم مشتقتان من الرحمة فمادة الكلمة هي (ر ح م) بمعنى الرقة و التعطف و الإحسان و لكن البحث في معنى كلمة رحم اظهر لنا أنها تعني وعاءاً في بطن الأم تنبت به البويضة الملقّحة إلى أن يتمّ تكوّن الجنين. وجمعه «أرحام». فالرحم للإنسان هو منبته، أي المكان الذي تكوّنت فيه حياته، وبالتالي فإن الأصل الذي أتى منه الرحمن هو الرحم و العلاقة بينهما وطيدة جدا إذ إن حديثاً قدسيّاً يثبت العلاقة السببية المتينة الموجودة بينهما يقول: ((أنا الله و أنا الرحمن خلقت الرحم و شققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته و من

(٢) جامع البيان: ١/ ٥٨٤.
(٣) مجمع البيان: ١/ ٥٢.
(٤) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٨.
(٥) مواهب الرحمن: ١/ ١٥.
(٦) تفسير سورة الحمد: ١٥٥.

قطعها بتته))[٧] فذلك يثبت أن الرحمن و الرحم اشتقاقهما واحد.

دلالة الرحمن و الرحيم في البسملة:

عندما نفتتح القرآن الكريم، فإن أول ما نقرأ فيه من كلام الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[سورة الفاتحة: ١] و تسمى اختصارا البسملة و الشكل التركيبي لهذه العبارة فيه ما يلفت الأنظار من عجائب الأسرار و لاسيما أن الله تعالى قد جعل فيها اسمين من أسمائه الحسنى، و لم يجعل غيرهما، و هما الرحمن و الرحيم. فأثار ذلك دهشة العلماء و أخذوه بالنظر و التدقيق والتأمل والتفكير، فذهبوا الى أكثر من مذهب في دلالتهما و موقعهما و اشتقاقهما، ومن خلال البحث عن ذلك في كتب اللغة والتفسير، تبين لنا أن للفظة الرحمن ولفظة الرحيم دلالات مختلفة بين العلماء يمكن أن تُجمل فيما يأتي:

١. الدلالة على التجدد و الثبوت.
٢. الدلالة على العموم و الخصوص.
٣. الدلالة على المبالغة في الرحمة.
٤. الدلالة على معنى واحد هو الرحمة.

أولا: الدلالة على التجدد و الثبوت:

بما أن (رحمن) صيغة مبالغة على وزن (فَعْلان) من الرحمة و رحيم صفة مشبهة على وزن (فَعِيل) لذلك ذهب قسم من العلماء إلى أن صيغة (فَعْلان) في رحمن تدل على الحدوث و التجدد و ذلك نحو عطشان و جوعان و غضبان. و أن صيغة (فَعِيل) تدل على الثبوت نحو طويل وجميل و قبيح فجمع الله تعالى الوصفين إذ لو اقتصر على رحمن لظُن أنّ هذه صيغة طارئة قد تزول كعطشان وريان. ولو اقتصر على رحيم لظُن أنّ هذه صفة ثابتة، ولكن ليس معناها استمرار الرحمة و تجددها إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يكرم فيها. فجاء تعالى بالوصفين للدلالة على أن صفته الثابتة و المتجددة هي الرحمة[٨].

و قد استحسن هذا الرأي جماعة من العلماء احدهم السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) في الميزان قائلا: ((الرحمن،

(٧) مجمع البيان: ٣/ ٥.

(٨) يُنظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٢٢٧، ومعاني الابنية في العربية: ٩١.

فعلان صيغة مبالغة تدل على الكثرة، والرحيم فعيل صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء ولذلك ناسب الرحمن أن يدل على الرحمة الكثيرة المفاضة على المؤمن والكافر وهو الرحمة العامة، وعلى هذا المعنى يستعمل كثيرا في القرآن، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[سورة طه: ٥]. وقال: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا ﴾ [سورة مريم: ٧٥]. إلى غير ذلك، ولذلك أيضا ناسب الرحيم أن يدل على النعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية التي تقاض على المؤمن كما قال تعالى ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[سورة التوبة: ١١٧]. إلى غير ذلك))[٩] و إلى ذلك ذهب السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ) في البيان في تفسير القرآن إذ قال: ((فالفارق بين الصفتين: أن الرحيم يدل على لزوم الرحمة للذات وعدم انفكاكها عنها، والرحمن يدل على ثبوت الرحمة فقط))[١٠] ومن ذلك استنتج السيد محمد محمد صادق الصدر(ت ١٤١٨ هـ): ((أن رحمة الله تعالى تتصف بكلا الوصفين، فهي واسعة ومنتشرة من ناحية وثابتة ومستقرة وغير قابلة للتزلزل من ناحية أخرى))[١١] ووجد السيد محمد باقر الحكيم الفرق بين الصيغتين في الدلالة من خلال المبالغة فيهما فقال: ((.. يمكن أن نتبين وجود الفرق بين هاتين الصيغتين في الدلالة، وذلك من خلال ملاحظة النكتة في عنصر المبالغة فيهما، فقد لوحظ جانبا المبالغة في السعة والشمول للرحمة في لفظ (الرحمن) وهو ما نعبر عنه (بالبعد الأفقي) لها، بينما الملحوظ في صيغة (الرحيم) جانب المبالغة في الثبات والاستقرار للرحمة، وهو ما نعبر عنه (بالبعد العمودي) لها. فقد تكون الرحمة واسعة وشاملة ولكنها لا تكون مستقرة وثابتة إلى الأبد، بل يمكن أن تتبدل وترفع لأي سبب من الأسباب

(٩) الميزان: ١/ ١٨ -١٩.

(١٠) البيان في تفسير القرآن: ٤٣٠.

(١١) منة المنان في الدفاع عن القرآن: ٤٥.

وتتحول حينئذ إلى عذاب ونقمة..))[١٢]

و لم يستحسن السيد السبزواري هذا المذهب من العلماء ورده واصفاً إياه بالمخدوش لان ذلك يصح ((بالنسبة إلى ذات اللفظين حين الإطلاق على المخلوق، أما من حيث إضافتهما إلى الله عز وجل فلا وجه للمبالغة بالنسبة إليه تعالى؛ لان صفاته بالنسبة إليه تعالى غير محدودة فلا تجري المبالغة فيها))[١٣]

و قال السيد السبزواري: ((و أما في بعض التفاسير من أن فعلان لا يدل على الثبوت بخلاف فعيل، وإنما ذكر تعالى الرحيم لأجل إظهار ثبوت الرحمة بالنسبة إليه تعالى. مخدوش، لان التفرقة بين اللفظين إنما تصح في الممكنات دون الواجب تبارك و تعالى))[١٤].

و من ذلك يتبين أن القول بدلالة فعلان و فعيل على التجدد و الثبوت قد قال به أصحاب التفاسير و رده السيد السبزواري، وتابع ذلك الدكتور فاضل السامرائي في كتابيه (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ومعاني الأبنية في العربية) إذ قال: ((الرحمن فعلان من الرحمة و الرحيم فعيل منها. وصيغة فعلان تفيد الدلالة على الحدوث و التجدد... و صيغة فعيل تدل على الثبوت في الصفة... فجاء بالوصفين للدلالة على أن صفته الثابتة و المتجددة هي الرحمة للاحتياط في الوصف. فانه لو وصف نفسه بأنه رحيم فقط لوقع في النفس أن هذا وصفه الثابت و لكن قد يأتي وقت لا يرحم فيه كالكريم و الخطيب. و لو قال رحمن فقط لظُن أن هذا وصف غير ثابت كالغضبان و العطشان وهذا الوصف يتحول فيذهب الغضب و يزول العطش، وكذلك الرحمة، فجمع بينهما ليدل على أن وصفه الثابت و المتجدد هو الرحمة، فرحمته دائمة لا تنقطع و هو من أحسن الجمع بين الوصفين و لا يؤدي الوصف بأحدهما ما يؤدي اجتماعهما))[١٥] و قد ضرب الدكتور السامرائي لذلك مثلا

(١٢) تفسير سورة الحمد: ١٥٧.
(١٣) مواهب الرحمن: ١/ ١٥ -١٦.
(١٤) نفسه: ١/ ١٦.
(١٥) لمسات بيانية: ٢٧.

من لغتنا الدارجة إذ قال: ((تقول هو ضعفان إذا أردت الحدوث فإذا أردت الثبوت قلت: هو ضعيف، و كذلك سمنان و سمين. إلا ترى انك تقول لصاحبك: أنت ضعفان فيرد عليك: أنا منذ نشأتي ضعيف، و تقول له: أراك طولان، فيقول: أنا طويل منذ الصغر))[١٦].

و قد لا يمكن التسليم بذلك؛ إذ السامرائي اعتمد تحليل بنية ((فعلان و فعيل)) من دون النظر إلى ما احتملته من ظلالٍ معنوية بعد أن اختصت باسمه تعالى، ولاسيما أن الرحمن اسم من أسمائه تعالى، ولم يتسَمَّ به أحدٌ غيره تعالى، أما الرحيم فهو من صفته هذا ما حقَّقَه العلماء فقد قالوا: إن الرحمن اسم، والرحيم صفة[١٧] وهاتان الصفتان يطلق عليهما العلماء اسم الصفة النفسية أو الفعلية، فالصفة النفسية هي الصفة القائمة بذاته تعالى، والصفة الفعلية هي التي تتعلق بفعله سبحانه في خلقه[١٨].

ولاشك في أن الصفة القائمة بالذات أدلّ على الثبوت من الصفة التي تتعلق بالفعل والحدث، ومن هنا قال العلماء باسمية الرحمن، وأنه ((عَلَمٌ مختصٌّ بالله تعالى لا يشاركه فيه غيره، فليس هو كالصفات التي هي العليم والقدير والسميع والبصير؛ ولهذا تجري على غيره تعالى... ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى حسن مجيؤه مفرداً غير تابع، كمجيء اسم الله كذلك))[١٩]، فظهر أن الرحمن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعا، وهو أدلّ على الثبوت من الرحيم لِعلَمِيته واختصاصه، وعدم وقوعه تابعا كالصفات. وفضلاً عن ذلك فان الرحيم معدول عن راحم، وراحم اسم فاعل، وليس كاسم الفاعل في الدلالة على الحدوث والتجدُّد؛ وإنما عُدِل بفعيل إلى فاعل في هذه البنية؛ لأنه مأخوذ من ((فعِل

(١٦) معاني الأبنية: ٩١.
(١٧) ينظر: جامع البيان: ١/ ٥٨، ولسان العرب ١٢/ ٢٣١، والتبيان في تفسير غريب القرآن/ ٥٠.
(١٨) ينظر: معنى لا إله إلا الله: ١/ ١٣٣.
(١٩) بدائع الفوائد: ١/ ٢٧.

يفعَل))، وهذا الباب هو باب الصفات العارضة، كما حقَّق ذلك الدكتور السامرائي نفسه[٢٠]، فـ(فعيل) من هذا الباب لا يدلُّ على الثبوت؛ وإنما الذي يدلُّ على الثبوت هو فعيل الذي من باب ((فَعُل -يفعُل))، باب السجايا والطباع الدالة على الثبوت، كشرُف فهو شريف وعظُم فهو عظيم، وغيره، فالثبوت في بنية فعيل إنما هو متأتٍّ من بنية فعلِهِ اللازم، الذي هو على الباب الخامس؛ وإنما حُمِل الرحيم وغيره على هذا الباب للمبالغة في الوصف، وليس في فعله معنى الثبوت. وبقي أن نقول في هذا الباب: إن النظر إلى الحدوث والثبوت يجب أن تراعى فيه أصل البنية، فبنية فعيل وفعلان قبل اختصاصهما بأسماء الصفات؛ إنما هما من أبنية المبالغة في ((رحمن ورحيم))، وليست من أبنية الصفة المشبهة؛ وذلك لأن فعلهما فعلٌ متعدٍّ، ولا تأتي الصفة المشبهة من المتعدِّي إلاَّ شذوذاً[٢١].

و فضلا عما تقدم نستطيع أن نقول: إن في البسملة لمسات جمالية من الناحية الصوتية المأتية من المشاكلة اللفظية للكلمتين (الرحمن و الرحيم) فضلا عن المشاكلة المعنوية لهاتين الكلمتين المشتقتين من الرحمة، فكلمة الرحمن جاءت مشاكلة لكلمة الرحيم في الأصوات فحرف الراء ذو الصفة التكرارية تبع بالحاء الحلقي المهموس يلحقه صوت مد يزيد في المبالغة الصوتية و المعنوية كل ذلك ولد جمالية التركيب فضلا على الأسرار الإلهية في البسملة.

ثانيا: الدلالة على العموم و الخصوص:

من المعاني التي تدل عليها صيغتا فعلان و فعيل في البسملة هي العموم و الخصوص. فالرحمن بجميع الخلق و الرحيم بالمؤمنين فقط، أو إن الرحمن في الدنيا و الآخرة و الرحيم في الآخرة فقط. وقد تدل الصيغتان على عكس

(٢٠) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٧٨.

(٢١) يُنظر: دَقائِقُ الفُرُوقِ اللُّغَوِيَّةِ في البَيَانِ= =القُرآنِيّ، اطروحة دكتوراه، محمد ياس خضر الدوري، كلية التربية، جامعة بغداد ٢٠٠٥، ص: ٢٧٨ -٢٨٣.

هذه الدلالة فيكون الرحمن خاص بالله تعالى و الرحيم عام مشترك فيقال: رجل رحيم و لا يقال رحمن.

وقد قال بهذه الدلالة فريق من العلماء، و لم يستحسن الفريق الأخر ذلك. إذ يرى الطبري (ت ٣١٠هـ) أن: ((... الرحمن بجميع الخلق و الرحيم.. بالمؤمنين))[٢٢] و يقول أيضا: ((قال رسول الله ﷺ: إن عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الآخرة و الدنيا، و الرحيم رحيم الآخرة))[٢٣] و قد استحسن الطبري كلا القولين لان ((.. الرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه، إما في كل الأحوال، و إما في بعض الأحوال))[٢٤].

وقد رد هذا الرأي السيد الخوئي في بيانه و السيد السبزواري في مواهبه و السيد الحكيم في تفسير سورة الحمد. اذ قال السيد الخوئي: ((... ورد في بعض الروايات: أن «الرحمن» اسم خاص ومعناه عام وأما لفظ «الرحيم» فهو اسم عام، ومعناه خاص ومختص بالآخرة أو بالمؤمنين، إلا أنه لا مناص من تأويل هذه الروايات أو طرحها، لمخالفتها الكتاب العزيز، فانه قد استعمل فيه لفظ «الرحيم» من غير اختصاص بالمؤمنين أو بالآخرة ففي الكتاب العزيز ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٦]. ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الحجر: ٤٩]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٦٥] و ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة الإسراء: ٦٦]. ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٤]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، وفي بعض الأدعية والروايات: ((رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها))[٢٥].

(٢٢) جامع البيان: ١٠/ ٨٥، ويُنظر: معاني القرآن للنحاس: ١/ ٥٣.

(٢٣) نفسه.

(٢٤) نفسه.

(٢٥) الصحيفة السجادية: ٣٠٨.

ويمكن أن يوجه هذا الاختصاص بأنّ الرحمة الإلهية إذا لم تنته إلى الرحمة في الآخرة، فكأنها لم تكن رحمة وما جدوى رحمة تكون عاقبتها العذاب والخسران؟. فإنّ الرحمة الزائلة تندك أمام العذاب الدائم لا محالة، وبلحاظ ذلك صح أن يقال: الرحمة مختصة بالمؤمنين أو بالآخرة))[٢٦] و لم يقبل السيد السبزواري القول بذلك لان ((العوالم بالنسبة إليه تبارك و تعالى في عرض واحد و انه محيط بالزمان و الزمانيات و خارج عنهما إلا أن يلحظ ذلك بالنسبة إلى المخلوق و قد ورد الرحمن بالنسبة إلى الآخرة في قوله تعالى﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [سورة الفرقان: ٢٦]... كما ورد الرحيم بالنسبة إلى الدنيا في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٢٩]))[٢٧] وقد رد قول من قال إن الرحيم عام للجميع و الرحيم خاص بالمؤمنين قائلا: ((.. وهو أيضا مردود فإن ذكر بعض الأفراد و أشرفها لا يدل على نفي ما عداه))[٢٨] و قال السيد محمد باقر الحكيم راداً هذا المذهب: ((ويمكن أن نلاحظ على هذا الفرق بأننا نجد أن كلمة (رحيم) تعني من شملت رحمته كل شيء أيضا المؤمن والكافر في الدنيا والآخرة، شأنها شأن كلمة (رحمان)، إذ ورد في الاثر: «يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمها»))[٢٩].

و ربما -و الله اعلم- كل هذه المعاني المذكورة في تفسير دلالة الرحمن و الرحيم مطلوبة و لا يتم المعنى إلا بها جميعا، و هي جميعها صحيحة لأنها من باب التوسع في المعنى[٣٠].

ثالثا: الدلالة على المبالغة في الرحمة:

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن لفظتي الرحمن و الرحيم تدلان على المبالغة في الرحمة و عندهم أن لفظة الرحمن أكثر مبالغة في الرحمة من الرحيم

(٢٦) البيان: ٤٣٠ -٤٣١.
(٢٧) مواهب الرحمن: ١/ ١٦.
(٢٨) نفسه: ١/ ١٦ -١٧.
(٢٩) تفسير سورة الحمد: ١٥٧.
(٣٠) يُنظر: الجملة العربية و المعنى: ١٧٧.

فيتولد تدرج في الرحمة بين الرحمن و الرحيم.

إذ جاء في الكشاف: ((... وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا: رحمان الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى))[٣١] و قال أبو هلال العسكري: ((وعندنا أن الرحيم مبالغة لعدوله، وأن الرحمن أشدُّ مبالغة؛ لأنه أشدُّ عدولاً، العدول على المبالغة كلما كان أشد عدولاً كان أشد مبالغة))[٣٢].

فمعنى المبالغة في الرحمن متأتّ لما فيه من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به، فهم يقولون: غضبان للممتلئ غضباً، وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن مُلِيء بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول[٣٣]. إذ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الاعراف: ١٥٦] فلذلك تكون ((الرحمة الشاملة لكل محتاج إليها و بجميع مراتبها التفضيلية بلا اختصاص لها بنوع دون نوع من الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان و سائر المخلوقات فلأجل إهمال المتعلق استفيد العموم و الشمول لجميع الأنواع الممكنة..))[٣٤] و من ذلك يتبين أن صيغة الرحمن تدل ((على المبالغة والكثرة في الرحمة مع السعة والشمول، وأما صيغة الرحيم فهي تدل على المبالغة والكثرة في الرحمة، لكن دون هذه السعة والشمول، أي دلالتها على الكثرة في جانب الكم فقط، لا الكم والكيف))[٣٥] وذهب السيد الصدر إلى أن الرحمة في الرحمن واسعة ثابتة، و في الوقت نفسه فإن الرحمة في الرحيم تكون خاصة واسعة و إن لم تكن واسعة لكل الخلق و لكنها واسعة لكل مستحقيها و طالبيها[٣٦]. و رأى السيد الحكيم أن الرحمن تدل على سعة رحمة الله تبارك وتعالى، بينما تدل الثانية على استمرار هذه الرحمة واستقرارها[٣٧].

(٣١) الكشاف: ١/ ٣٤.
(٣٢) الفروق اللغوية: ١٦٠ -١٦١.
(٣٣) ينظر: التفسير القيم/ ٣٣، ومعاني الأبنية في العربية/ ٩٣.
(٣٤) مواهب الرحمن:/ ١/ ١٧.
(٣٥) تفسير سورة الحمد: ١٥٦ -١٥٧.
(٣٦) يُنظر: منة المنان: ٤٦.
(٣٧) يُنظر: تفسير سورة الحمد: ١٥٨.

رابعا: الدلالة على التوكيد:

و هذه الدلالة مفادها أن لفظتي الرحمن و الرحيم في البسملة كُرِّرَتا دلالة على التوكيد للرحمة فقد قال قطرب (ت ٢١٦هـ): ((يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد وهذا قول حسن وفي التوكيد أعظم الفائدة وهو كثير في كلام العرب))[٣٨] و قال الجوهري (ت٣٩٣ هـ): ((ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على وجه التأكيد كما يقال فلان جاد مجد))[٣٩] و قد رد ذلك السيد محمد باقر الحكيم بقوله: ((فما نرجحه -إذن-هو أن يكون للفظة الرحمن معنى مغاير للفظة الرحيم وأن إحداهما ليست تكرارا للأخرى[٤٠])).

خامسا: الدلالة على معنى واحد هو الرحمة:

الرحمن و الرحيم عند أصحاب هذه الدلالة لفظان مختلفان يؤديان معنى واحدا و هو الرحمة، أي أنهما يدلان على كلمة واحدة مع اختلاف لفظيهما و قد كرّرا لضرب من التوكيد إذ جاء في الصحاح: ((الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، ونظيرهما في اللغة نديم وندمان، وهما بمعنى، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد كما يقال فلان جاد مجد))[٤١].

و قال السيد الصدر: ((ويمكننا أيضا أن نركّب بينهما فيكون (الرحمن الرحيم) اسما واحدا فنفس الرحمة واسعة وهي ثابتة فكانهما صفتان لشئ واحد وهي مادة الرحمة))[٤٢].

و هناك دلالات اخرى للصيغتين اذ نقل عن ابن عباس انه قال: ((الرحمن الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب. قال: الرحمن الرحيم: الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه))[٤٣] وقيل إن لفظة الرحمن ليست

(٣٨) معاني القرآن للنحاس: ١/ ٥٤.
(٣٩) الصحاح: ٥/ ١٩٢٩، مختار الصحاح: ١٣٠.
(٤٠) تفسير سورة الحمد: ١٥٨.
(٤١) الصحاح: ٥/ ١٩٢٩، و اللسان: ٢١/ ٢٣١.
(٤٢) منة المنان: ٤٥.
(٤٣) جامع البيان: ١/ ٨٦.

بعربية، وإنما هي ببعض اللغات مستدلا بقوله تعالى﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ إنكارا منهم لهذا الاسم(٤٤). وقد رد بأنه ليس بصحيح لأن هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة في أشعارها، قال الشنفرى:

ألا ضَرَبَت تلك الفتاةُ هجينَها

ألا قَضَبَ الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندل: «وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق»(٤٥).

ورد ذلك الطبري قائلا: ((وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن ولم يكن ذلك في لغتها ولذلك قال المشركون للنبيﷺ: وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا إنكارا منهم لهذا الاسم. كأنه كان محالا عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته، أو كأنه لم يتل من كتاب الله قول الله: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعني محمدا كما يعرفون أبناءهم وهم مع ذلك به مكذبون، ولنبوته جاحدون. فيعلم بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته واستحكمت لديهم معرفته. وقد أنشد لبعض الجاهلية الجَهْلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها

ألا قَضَبَ الرحمنُ ربي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي:

عجلتم علينا عَجْلَتينا عليكُمُ

وما يشأ الرحمنُ يعقدْ ويطلقِ))(٤٦)

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث يمكننا أن نثبت مجموعة من النتائج المقتطفة و هي كالآتي:

١. اختلف العلماء في تفسيرهم دلالة الرحمن و الرحيم فكثرت أقوالهم في ذلك، و لاشك في أن كل ما قالوه من معان كانت تصب في خدمة المعنى العام للبسملة و كل هذه المعاني مطلوبة مرادة وهي من باب التوسع في المعنى.

٢. إن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى و

(٤٤) يُنظر: مجمع البيان: ١/ ٥٢.

(٤٥) يُنظر: المصدر نفسه.

(٤٦) جامع البيان: ١/ ٨٧ -٨٨.

هو خاص به لا يسمى به غيره دال على ذات الله و لا يدل على التجدد و الحدوث لانه اسم ثابت.

٣. الرحيم لا يدل على الثبوت و إنما الذي يدل على الثبوت ما اخذ من باب (فعُل يفعُل) مثل شرف يشرف و كرم يكرم و عظم يعظم كعظيم وكريم اما رحيم فمشتق من رَحِمَ يرحم فهو فعيل.

٤. جاء الرحمن مشاكلا للرحيم في اللفظ من حيث الأصوات و في المعنى من اشتقاقهما من الرحمة فزاد ذلك في جمالية البسملة الصوتية.

المصادر و المراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب المطبوعة.

- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ((ت ٧٥١هـ)) تحـ: هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز –مكة المكرمة، ط/ ١، ١٤١٦هـ.
- البيان في تفسير القرآن للامام الاكبر زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ) الطبعة الرابعة دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٣٩٥ –١٩٧٥ م.
- تاج اللغة وصحاح العربية تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار الجزء الاول دار العلم للملايين بيروت لبنان ١٩٨٧ م.
- التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ((ت ٨١٥ هـ))، تحـ: د. فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا –القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٢م.
- تفسير سورة الحمد: السيد محمد باقر الحكيم، الطبعة الاولى، مجمع الفكر الإسلامي قم ١٤٢٠.
- التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، جمع: محمد أويس الندوي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ((ت ٣١٠هـ))، دار الفكر –بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الجملة العربية و المعنى: الدكتور محمد فاضل صالح السامرائي، الطبعة الاولى، دار ابن حزم، بيروت لبنان ٢٠٠٠
- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية– بيروت لبنان.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية –بيروت، ط/ ١، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: د. فاضل السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد ١٩٩٩م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي ((ت ٥٦٠هـ)) تحـ: لجنة من العلماء والمحققين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات –بيروت ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.
- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط/ ١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- معاني القرآن: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي أبو جعفر النحاس ((ت ٣٣٨ هـ)) تحـ: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى –مكة المكرمة، ط/ ١، ١٤٠٩هـ.
- معنى لا إله إلا الله: بدر الدين الزركشي ((ت ٧٩٤ هـ)) تحـ: علي محيي الدين علي القره داغي، دار الاعتصام –القاهرة، ط/ ١، ١٩٨٥م.
- منة المنان في الدفاع عن القرآن آية الله العظمى السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (ت ١٩٩١م) الطبعة الاولى، مطبعة الكوثر قم ايران ١٤٢٦هـ.